

الصحة الذكية:
لماذا يجب بتر النسخة الإعلامية
في الجمعيات القرآنية
محمد زياد الخالدي

الطبعة الأولى

2026م - 1447هـ

الصحة الذكية

لماذا يجب بتر النسخة الإعلامية
في الجمعيات القرآنية

محمد زياد الخالدي

عدد الصفحات: 213 صفحة

المقاس 17 × 24 سم



كيف كُتب هذا الكتاب: قصة المولود الكتابي القرآني من رحم المعاناة والحرب بغزة

جلست أراقب قطرات دمي وهي تتساقط على الأرض، واحدةً تلو الأخرى، كأنها عد تنازلي لروحٍ تنسحب مني ببطء، كنتُ أتوق فقط لأن أمدّ يدي، أن أتحمّس موضع الجرح النازف، لكن يداي كانتا مغلولتين إلى الخلف بقيدٍ يأكل المعصم، وجسدي شبه عارٍ، والبرد ينهشني بلا رحمة، وعيناوي معصوبتان بشريطة ملتفة حول رأسي، غرقى بالدم، ثقيلة، خانقة.

كنتُ قد وصلت، في ساعة متأخرة من منتصف الليل، دفعني أحدهم إلى غرفةٍ لا أعرف لها اسماً، ولا شكلاً، ولا مخرجاً، رفع الغمامة المبتلة بالدم عن عيني، فوجدت أمامي ثلاثة أشخاص، نظر إليّ أحدهم بنظراتٍ ليّيمة، وبابتسامة ترحيب شيطانية مليئة بالوعد والحدق، وسألني عن حالتي الصحية، وإن كنت أعاني من مرض معين؟، لم يكن تساؤلاً، كان سخريّة تُلقى على جسدي مثخن بالجراح، وروحٍ منهكة، ووجهاً شاحباً، يبدو عليه ضيق النفس.

طلبتُ شيئاً واحداً، لم أكن متفائلاً من استجابته له، لكنني طلبت جرعة ماء، قطراتٍ قليلة فقط، لأكسر جفاف حلقي المتشقق، ولأستعيد القدرة على التنفّس بعد يومٍ كامل من العطش والألم والبرد والانتظار.

لم يُجبني، أشار بيده إلى أحدهم، ليشدّ العصابة المبللة بالدم إلى عينيّ مرةً أخرى، وسُحبتُ من الغرفة، اقتادني إلى مكانٍ بدأتُ أُميّزه من الأصوات؛ ركلُ أبوابٍ حديدية، وارتطامُ سلاسل، وقعُ أعرفه قبل أن أراه، كنتُ أمشي معه على قدمي، خطوةً بعد أخرى، حتى توقف فجأة، ودفعني إلى الداخل.

كان قفصاً.

تسلّمني شاويش السجن وقال ببرود: «أنت الآن في السجن».

أجلسني على شريطةٍ إسفنجية متّسخة، رقيقة إلى حدٍّ لا يُسمّى فراشاً، أسندتُ ظهري إليها دون أن أشعر بشيءٍ سوى قسوتها.

لم يكن هناك صوتٌ بشري واضح، فقط أنفاس تتكسّر تحت ثقل التعذيب؛ أناث خافتة، همهمات مكتومة، صوت أنفاس متهدجة، ولهاتٌ متقطّعة، وأجساد تحاول أن تبقى حيّة في مسلخ لا يرحم.

لم أحتمل أن يُضاف وجعٌ جديد إلى جرحي النازف، لكن البرد قرر أن يفرض سطوته كأقسى أنواع الألم، بدأت ساقاي بالارتعاد، وتشنّج عمودي الفقري، اصطكت أسناني حتى كادت تتحطّم، وازرقت شفاهي الراجفة من شدّة الصقيع.

فتحت فمي أهوي بأنفاسي لعلّ زفيرِي يمنحني دفئاً مفقوداً، لكن بلا جدوى، تقوّعت على نفسي، حانياً ظهري كأني أحاول الاختباء داخل ذاتي، أضغط جسدي المكشوف بقوة، أحرسه من الريح، متوجّساً من أي حركةٍ قد تترك ثغرة صغيرة تتسلّل منها لسعة جديدة، بحثاً عن دفءٍ صار حلماءً مستحيلاً.

اجتاحني البرد كما لو أنّ جسدي وُصل بسلكٍ عارٍ؛ صعقة كهربائية لا تُميت، لكنها أبقتني مستيقظاً على الألم، شعرتُ أن عظامي تتفتت صقيعاً، وأني سأموت متجمداً، ببرودةٍ تشبه برودة العالم تجاه غزّة.

هل تعرف معنى أن تتألم حتى البكاء من شدّة البرد؟ أن يصرخ كل مفصل فيك صرخةً صامتة تفوق قدرة قلبك على الاحتمال؟ لوجعٍ لا يُطاق، لا يهدأ، يفوق حجم قلبك.

الليل الطويل جاثم على صدري كجبلٍ من الجليد، والدقائق تتحول إلى معارك صبر ضارية، أسمع الريح تصفر وتزمر، أعاصير لا تهدأ، وكأنّ العالم كله يتآمر على جسدي الواهن.

اشتعل مغصٌ حاد في أحشائي، فأخذت أتلوّى وأتقلب فوق الأرض الباردة، عاجزاً عن إيجاد وضعٍ يخفف الوجع، بدت نزلة بردٍ قد فتكت بأمعائي الخاوية، تضربني من الداخل بلا رأفة، تمنّيت وسادة أضّمها إلى صدري، أو بطانية ألتفّ بها، أي شيء يوهمني بالدفء، ولو كذباً.

لكن الرفاهية هنا، في السجن، أن تجد فراشاً تفتشره، أو غطاءً هشاً بالكاد يقيك البرد في ليلة قارسة، والرفاهية الأكبر أن يحين دورك لدخول حمّامٍ واحد، يتكدّس عليه أكثر من مئةٍ وخمسين سجيناً، بمياهٍ راكدة، كريهة، متعفّنة.

بعد ساعة—أو ربما ساعتين؟— لم أكن متأكداً، فجأةً اخترق الصمت صوتٌ أجشّ يصرخ بصوت يشبه فحيح الأفاعي: "عدد، عدد"، أي علينا أن نقف في أماكننا استعداداً لعدّ الأجساد، وقفن متثاقلاً، فتمايل العالم من حولي، وشعرت بدوارٍ حاد، كأن الأرض انسحبت من تحت قدمي، جسدي انقبض دفعةً واحدة، يتجهّم ألماً، يحتجّ بصمت.

بقينا واقفين أكثر من ساعة، حتى جاء أحد الضباط يتلو الأسماء ببرودٍ ميّت، كنت أترقب اسمي لحظةً بلحظة، ظننت—بسذاجة من لا يملك شيئاً— أن من يُنادي اسمه يعود للنوم، تعلّقت بالفكرة كما يتعلّق الغريق بقشّة.

ثم جاءت الحسرة... كاملة.

لم يكن هناك نوم، فالعدد لم يكن إذناً بالراحة، بل كان إعلاناً ببدء الجحيم.

من لحظة «العدد» مع أول ضوءٍ للفجر، وحتى الساعة الثانية عشرة ليلاً، كُتب علينا أن نظلّ مستيقظين، معصوبي الأعين، مقيّدي الأيدي، جالسين في وضعية الجثو على الركب، ساعات طويلة من الثبات القسري، لا حركة، لا التفاتة، وضعية تجعل الزمن يتوقف عند حدود مفاصلنا المحطمة، هناك، حيث يُمنع الحلم، وتصبح أي حركة طفيفة—ولو كانت لضبط توازن الجسد المنهك— جريمة تستوجب العقاب.

مرت الساعات وكأنها دهرٌ ثقيل، فلم تعد الأوجاع تأتي فرادى؛ أحزان الروح تكالبت عليّ، متحالفة مع تهالك الجسد، حتى خُيل إليّ أن الألم قد استقر أخيراً عند حدود عظامي المحطّمة، ثم اكتشفت أنه لم يبدأ بعد.

شردت أفكاري لتستحضر تلك الذكرى التي لا تكف عن مطاردتي كظلي؛ مشهد انتزاعي غنوةٍ من بين يدي أمي، بلا حولٍ منها ولا قوة، صوتها المخنوق، ويدي التي أفلتت يدها رغماً عني، كانت تلك اللحظة هي الزلزال الذي ما زال توابعه يهدم جدران ثباتي.

أنا هنا، في السجن، غائبٌ في جُبّ النسيان، وهما هناك، تحت وابل الصواريخ المجنونة، بلا سقفٍ يحميهم ولا صدرٍ يضمهم، وحيدون كما أنا وحيد في قلق الشك والافتراض، لكن نارِي بردٌ أمام جحيمهم.

والأروع من ذلك ما كان المحققون يسوقونه إلينا من أخباراً مسمومة؛ وأكاذيب سوداء يتم تأجيجهـا بخبث، يلقونها على مسامعنا كقذائف فوسفورية تحرق الأحشاء: "أهلك قُتلوا.. صاروا رماداً".

كلماتٌ كانت تنغرز في قلبي كآلاف الإبر، فتشعل في جوفي ناراً لا يطفئها صقيع الزنازين ولا عتمة الليالي، فكان قلبي يفور في صدري كمرجلٍ منفلت، ولم تعد ركبي المتورمة تعينني؛ فما جدوى مفاصل سليمة إذا كان الداخل كله مكسوراً؟

أهرب من جدران الزنزانة بإغمضة عين، فأجدني هناك.. في فردوسنا الذي لم ندرك قيمته إلا حين فُقد، أرى لمة الجمعة، ورائحة القهوة التي تُسكب بلا خوف، أرى أبي الذي أبيع الدنيا لابتسامته، ولا أقبل أن يُمسّ طرف إصبعه بخدش، وأمي التي تركتها مهمومة لهماي، تحمل خوفاً فوق خوفها.

أذوب في زوايا صدرها كما يذوب الثلج في كفّ دافئة، يهزني الحنين إليهم كما تهز الرياح عشاها هنا، حنينٌ لصوت أبي وهو يناديني، في تلك اللحظات، تنفتح مجاري الدمع دون استئذان، ويرقّ ماء العين، وتنحدر العبرات ذرافاً، كأن القلب قرر أن ينزف عبر المآقي.

في عتمة الزنزانة، وبلا صوت، رفعتُ حطام روعي للسماء، متشبثاً بحبل الدعاء وهمست: "يا جامع الأمر بين الكاف والنون، اجمعني بمن أحب، على الوجه الذي تحب"، أكرر وأردد في سري: اللهم ارزق أبي همة إبراهيم الخليل، وقوة إيمانه، وعظيم توكله، و ارزق أمي صبر أم موسى حين ألقت في اليم"

في السجن، لا يُسلب الأسير حرّيته وطعامه ونومه، ولا يُعزل عن أهله فحسب؛ بل يُسلب ما هو أخطر: يُحرم من القرآن العظيم، كتاب الله عزوجل الذي يربّهم، ويهزّ جبروته، ويدحر غطرستهم الصهيونية الباغية، ويذيقهم مرارة الهزيمة، ويمرغهم في أوحال الهوان.

القرآن، الذي بسببه، رأينا في أعينهم حمى الكيد، ونار الغل، سمعنا من أفواههم ألسنة زنخة، هي أقذر من لسان الخنزير، تتقيأ حقداً وفسقاً، أما أيديهم التي امتدت علينا بالضرب والقمع حتى سالت دماؤنا، تمنينا من فرط وجعنا أن تُصيبها الغرغرينا لتتناكل أمام أعيننا كما يحاولون أكل أعمارنا.

أرادوا انتزاع كتاب الله تعالى؛ في محاولة لانتزاع الروح من الجسد، ذلك الذي نلوذ به في الملمات، ونرتكنُ إليه حين تضيق بنا الحياة، أرادوا تغييب مضخة الطمأنينة التي تهدئ أرواحنا الوجلة، وترشدنا إلى سواء السبيل حين تضيق بنا الجدران وتحيط بنا الظنون.

دخل علينا أحدهم يوماً، والغل يطفح من وجهه كالصديد، تفوح منه رائحةٌ حقدٍ عفنة تزكم الأنوف، صرخ بجهلٍ: «لا تدعوا.. صلواتكم ودعاؤكم هباء!»، لم أردّ، بل همستُ في سري: «لا والذي علّم الإنسان ما لم يعلم، ما نجت الأرواح إلا به».

كانت عقولهم من حجر، وأرواحهم معجونة بالفسق، فكيف لمثل هؤلاء الأقزام اللقطاء أن يفهموا أن تمكسنا بالقرآن وثباتنا شيء أكبر من أن يستوعبوه، وشيء يستحيل على ألف سجان كسره؟

لم نستسلم للعدم؛ فالحاجة محراب الإيمان، ومن رحم المعاناة انبجحت معجزاتنا الصغيرة؛ عثرنا على سنّ قلم في زاوية زنزانة مهجورة، فكان في أعيننا كنزاً هبط من السماء، وحين انعدم الحبر، لم نعدم الوسيلة؛ استخلصنا من أوراق الملفوف الأحمر سائلاً بنفسجياً، كأنه الذهب السائل، لنصنع منه مداداً نخط به آيات الله عزوجل، هذا اللون البنفسجي أصبح شريان حياة يعيد لقلوبنا الجريحة الروح كلما خططنا حرفاً.

وحين جردونا من كل مادي، التفتنا إلى ما تبقى من طعامنا الصحيح؛ عجم الزيتون، وبأصابع مرتجفة لكنها مسلحة بالصبر، كنا ننظف النوى ونثقبه لنصنع سبحة من العدم، لنسبح بحمد ربنا بكرة وعشياً.

كنا نحفظ الأيام بجسد جائع، ونستحضر الآيات من مخبأها في الذاكرة، ننبش في الماضي عن آية حفظناها في الصغر لتنقذنا في الكبر.

أرادوا لنا الهوان، وأراد الله لنا العزة بالقرآن، فكان القرآن فرحنا الذي نتزود به لمواجهة أيامنا العابسة، ولبسماً يشفي العلة، ويحوّل ظلمة السجن إلى خلوة تهدأ فيها النفوس كلما ضاقت بنا الأرض بما رحبت.

في أي كتابة أخرى، قد تشعر بقدرتك على التعبير، وانسياب الكلمات، وتصوير المشاهد؛ إلا في حضرة تجربة الأسر، فأنت هنا أمام تضحيات وصعاب تجعل الكلمات تتقاصر، ومهما سطّرت من جمل، يظل الشعور بالنقص ملازماً، فلا يملك المرء أمام الأحداث الجسام إلا إعلان العجز، وترك الأجر لله ليتولى وحده الجزاء.

ومهما بلغت من بلاغة الوصف، لن تدرك مخيلة البشر فجاعة الأسر وويلاته، ولا نكبة السجن وأهواله، حيث يُوضع الإنسان في أتون أقسى معارك الحياة، ويُختبر في أعظم ابتلاءات الدنيا: بلوى الحرية.

وقبل أن تبتلعني غياهب السجون، وقبل أن تغلّ يداي وتُعصب عينايا، كانت رحلة هذا الكتاب قد بدأت بالفعل في صيف عام 2023م، كنت أكتب وأنا لا أعلم أن الطريق إلى إتمامه سيمرّ عبر هذا النفق الطويل، وأن القلم سيُنزَع من يدي ليُعاد إليّ بعد حين ممزوجة بالوجع واليقين معاً.

هناك، وسط الظلم والظلام، لم يكن لي من ملجأ إلا السميع المجيب، رفعتُ أكف الدعاء، ودعوت دعاء من لا يملك إلا الله، بقلبٍ يوقن بالإجابة:

أولاً: ألا يُريني في أهلي مكروهاً، وأن يحفظهم بعينه التي لا تنام وسط جحيم الصواريخ.
ثانياً: أن يخرجني من هذا الأسر مغفوراً لي، منقًى كما تنقي النار الذهب من الخبث.
ثالثاً: أن يكرمني بالعودة لاستكمال ما بدأته، وإنجاز هذا الكتاب على أكمل وجه.
واليوم، وأنا أخط هذه القصة، أدرك أنني ما عدتُ إلا بمددٍ من الله، لأتمّ العهد، وأكمل البناء، شاهداً على أن الظلمة مهما طال، فإن نور اليقين لا ينطفئ، وما كان هذا الكتاب إلا ثمرة تلك الدعوات، وما كتب له أن يكتمل إلا لأن الله إذا أراد أمراً، هيأ له أسبابه... ولو مرّت عبر السجن.

خرجتُ من ضيق السجن، لكن لا إلى فسحة الحرية، بل إلى زنزانيةٍ أوسع اسمها الواقع. انتقلت من قيد الحديد إلى حصار الظروف، ومن جدران الزنزانية إلى غزة الجريحة النازفة المذولة، عدتُ إلى أهلي لأكابد معهم مشقة البقاء، ولحظات القلق العصبية، المليئة بالأوجاع والأحزان.

أصحو في غزة بملاح غريبة عني؛ عيناان متعبتان، ورأس متصدع، وقلبٌ مخفوقٌ يرتجف، أحمل جهازني وأمضي باحثاً عن ركنٍ يأويني، فالمقهى الذي تركتُ فيه مسودة الأمس صار اليوم ركناً يذروه الريح.

ففي غزة، حتى الحجارة برتبة مقاوم، ترتقي وتستشهد، لذا تعلمتُ أن أستودع روحي (كتابي هذا) في نسخٍ أربع: في الهاتف، وفي السحابة، وعلى ذاكرة الـ USB.. أوزع الكلمات كأنني أوزع وصايا أخيرة، خوفاً من أن يبتلعها صاروخ غادر قبل أن ترمى النور.

وقبل أن أذهب إلى أحد الأماكن، يدهمني طوفان المهام القاتلة؛ رحلة البحث المضنية، وتلمس سبل توفير لقمة العيش، وتدبير دواءٍ صار وجوده معجزة، فنحن هنا وبشكل يومي ندير الألم، ونروض التعب المزمن في واقعٍ يهدم كل شيء ليعيدنا مع كل إشراقة شمس إلى نقطة الصفر: صباح بلا إفطار، انتظارٌ لخبرٍ فاجع، عواء طائرة في السماء، وبحثٌ مضنٍ عن رغيف خبز وسط براميل البارود.

أجلس على كرسيّ صلبٍ ينهش ظهري، أصرع معدةً خاويةً تُثقل رأسي، وأتشبث ببصيص إنترنتٍ يترنح مع انقطاع الكهرباء، أكتب فقرة، ثم أشرع في الثانية، فإذا برنات الهاتف تعلو كصيحات نذير! يقفز قلبي مع كل رنة: من الفقيد التالي؟ أي بيتٍ انقصف الآن؟ هل كتب علينا نزوحٌ جديد؟

تتسارع نبضات قلبي، يغلي الدم في عروقي، وتجتأحني قشعريرة الخوف، أبتلع ريقِي وأرد على المتصل، فتنبخر الأفكار أمام هول الفاجعة: "بيتنا تحول إلى ركام، بعد أن اشتعلت نيران الحرب في جدرانها فأكلت النيران كل شيء جميل". وفي اتصال آخر: "أبناء عمتي، أطفال رُضع، تحولوا إلى أشلاء وتفحمت أجسادهم".

هكذا، لا يتوقف نزيف الوجع؛ تتأزم الأمور، تتفاقم المعاناة، تضيق الحياة وتتعمّد أكثر فأكثر، تُسفت أحلامنا، أُحرقت بيوتنا، وأُعدمت مصادر رزقنا، اجتمعت علينا مآسٍ لو نزلت على الجبال لخرّت خَرّاً، ولا تزال أنياب الحرب، وكوارث الحرمان، وأشباح المجهول تطاردنا صباح مساء.

أبتلع ريقِي، وأجفّف عرق الخوف المتراكم في حلقي، في اليوم التالي أعود إلى الكتابة، وفي كل مرة—خبرٌ جديد يقتلني منها، يفرض انقطاعاً آخر، أقرّر التعافي، أعد نفسي بالعودة لإكمال ما بدأت، وفي كل مرة... يسبقني الخبر.

حتى في اليوم الذي أكتب فيه، يكون الوقت عدوّاً، والكهرباء مقيدة تنقطع بلا موعد، والبطارية في جهازي على وشك النفاد، كل كلمة أكتبها هي سباق مع الزمن، مع انقطاع متوقع، مع فرصة ضائعة إذا لم أحفظ الملف بسرعة، كأني أضغط على زر النجاة من فناء الأفكار.

وربما التطور الأصعب الذي كان يتعين عليّ الاعتياد عليه هو الجوع الذي يرافق الكتابة، تقرقر معدتي مُذكّرةً إياي بأن وقت الغداء قد اقترب، لكن للأسف رغيف الخبز كان حلمًا يُطارَد.

أحاول صد موجة الجوع المتصاعدة في أحشائي، ثم أكتب، بيني وبين الفكرة والإغماء سطرٌ واحدٌ فقط، وقدرةٌ إلهية تمنع جسدي من السقوط.

هل جربت يوماً أن تكتب تحت صداع الجوع المذل؟ حيث تنزف الفكرة من رأسك كما تفرغ الطاحونة هواءها في الفراغ؟ الكتابة على معدة خاوية، هي حرقّة في الجوف تشبه حرقّة القلب، انكماشٌ في الأمعاء يتبعه هزالٌ في الجسد ونهكٌ في الروح، لقد نسينا طعم السكر، واستبدلناه برائحة الدم وطعم البارود وصوت الطائرات التي لا تغادر سماءنا.

إن الكتاب الذي بين يديك، خرجت كلماته من جسدٍ مجوع ونفسٍ منهكة، وروح متعبة،
لعل التعب الجسدي لا يظهر في النصوص، لكنه حاضر في كل سطر.

والمفارقة الساخرة كانت حين ذهبت للطبيب بجسدي المنهك وأمراضي التي ورثتها من
زنزانة السجن ومن هواء غزة الملوث بسموم القصف، كتب لي قائمة أدوية، وذيلها بعبارة:
"تؤخذ بعد الأكل!".

نظرتُ إلى الورقة وابتسمت بمرارة؛ أي أكل هذا الذي يتحدث عنه والعالم كله يراقب معدة
الطفل الغزي وهي تُطحن جوعاً ويسأل بصمت: "هل جوعي يهدد وجودكم؟"

أن تكتب من غزة، يعني أن تكون مسكوناً بازدواجية مريرة؛ عينٌ على السطر، وأخرى
تقرأ وجه السماء: هل هذا صوت غارة؟ هل هو نداء إخلاء؟ هل أكمل الفقرة.. أم أختبئ؟
إن هذا المشروع لم يُكتب على مكاتب وثيرة، بل وُلد يتيماً من رحم الحصار والجوع، ونضج
تحت حمم القصف، ليكون شاهداً على أن الكتابة في غزة هي فعلٌ مقاومةٍ، وقرارٌ بالبقاء.

وفي أحد الأيام في طريقي إلى خيمة النزوح، قطع صمت الوجع والجوع صوت انفجارٍ
هز الأركان، ليركض جاري نحوي صارخاً: "الشارع الذي قطعته قبل خمس دقائق لم يعد
مرصوفاً.. لقد سقطت عليه براميل البارود"، نظرتُ خلفي، حيث تناثرت أشلاء المارين،
أدركتُ أنني كنتُ في عداد الشهداء لولا أن الله أراد لهذه الكلمات أن تحيا.

ومع حلول الليل، تستعر الحرب بنيرانها، وتزفر المدافع أحشاءها فوق خيامٍ متهاكة
ترتجف فيها الأجساد صقيعاً وخوفاً، الليل في غزة يُقاس بعدد الانفجارات؛ فقد تنام
وشقيقك في الغرفة المجاورة، لتصحو وتجده في ثلاجة الموتى، دون أن يمنحك
انفجار الشقة وقتاً للوداع.

ننام جوعاً، لا نخشى القصف فقد صار مألوفاً، لكن ما لا أعتاده هو ذلك الخوف الجاثم
في صدري: "هل سيموت صوتي التربوي قبل أن يسمعه أحد؟"

وفي تلك العتمة الدامسة، يستيقظ جرحٌ من نوع آخر بعد منتصف الليل جرحٌ اسمه "عماد"

صديقي الذي فقدته، وفقدت معه كل شيء، حبيبي، ورفيق روحي، الشخص الذي يمكن
لأي إنسان أن يتمنى وجوده وصحبته، فجعت وتألّمت حين تلقيت نبأ استشهاد.

في تلك الليلة غفت عيناى غفوة الألم التي لم أصح منها بعد؛ فلا أنا أنام وحدي، ولا الذاكرة تتركني.. ينام معى وجهه الصبوح، يرافقنى صوته، وتطاردنى ضحكته التي ما زالت أصدأؤها تملأ زوايا روحى.

يقال إن الإنسان يُرزق مرة واحدة فى العمر بشخص يشبهه تماماً، يأتي على مقاس قلبه، يكونا روحاً واحدة قُسمت فى جسدين، هكذا كنا أنا وعماد؛ توأمان لا نفصلان، رفيقاً دربٍ وشريكاً حلم، أحب عائلته كما يحب عائلتي، نسجنا معاً أماننا بخيوط الأمانى، وعقدنا العزم أن نحيا حياةً طيبة بالجد والعمل، فلم يكن عماد مجرد صديق، كان نصف حياتى، واليد التي تنتشلنى حين أغرق، والصوت الذي يذيب بضحكته ثقل الأيام.

أكابد الذكرى والذكرى تكابدنى، كنتُ أحلم أن ألقاه حراً طليقاً على أرض شمال غزة، أن أبصر وجهه الذي يطل كالقمر من السماء، بابتسامته السكرية التي كانت تذيب مرارة الأيام، لكنه غادر دون وداع، ودون نظرة أخيرة، تركنى أنجز هذا المولود الكتابى وحيداً، سقط صديقى المقرب شهيداً وهو ينتظر معى أن يرى الحرف الأول مطبوعاً.

أتعرفون غصة الإنجاز المبتور؟ حين تضع النقطة الأخيرة فى مشروعك، وتلتفت بجانبك لتبحث عن توأم روحك فلا تجده، حين وضعتُ النقطة الأخيرة فى سطور هذا الكتاب، شعرتُ بنجاحٍ منقوص وبابتسامةٍ مكسورة، تخيلته بجانبى، يشد على يدي، نتقاسم فرحة الوصول كما نتقاسمنا وجع الطريق.

لقد حظيتُ بخير صاحب، لكنه رحل.. غادر قبل الوداع، وترك لى صورته أنصفها فى عز انشغالى، كلما عَضَّني الشوق وأعيانى الحنين، رحلت يا عماد القلب، لكنك تسكن فى بؤبؤ العين، فى سويداء القلب، فى ثنايا روحى، وفى كل سطر رفض أن يموت رغم موتك.

هكذا نشأ الكتاب الذي بين يديك..

وُلد فى ظروف صعبةٍ مستحيلة، من بين قيود الزنزانة وعصبة العين، وفى مدينة تُسَطَّر فيها الحياة بالحبر والدم معاً، كنتُ أخْطُ كلماته والمنزل يحترق حقيقةً لا مجازاً، والعجز يرمقنى بنظراتٍ باردة لا تعرف الشفقة، وُلد هذا العمل فى زنزانيةٍ حُرمتُ فيها من لمس المصحف، وفى مدينةٍ عَزَّ فيها الطعام، ومع ذلك... شقَّ طريقه نحو النور.

كحدثٍ بأظافرى فى صخور واقعٍ مسنون، وسط ظروفٍ كادت تُسَقِط المشروع كما يسقط سقفٌ قديم، نسمع أن كل مشروع يمرّ بعثرات، أمّا هذا فكانت عثراته زمنه كله.

لذلك كان عليّ أن أحافظ على الكتاب؛ كان من أضمن ما أخشى فقدانه، أخاف أن أغادر الحياة قبل أن أستكمّله، أن ينتزع مني كما انتزع القلم من يدي يوماً خلف القضبان، لكن المشروع الذي ولد بالحرب، لا يموت بسهولة.

كان حلمًا، ثم صار حياة.

انتظرتُ هذا الكتاب كما ينتظر السجين الحرية، هو جزءٌ مني، قاسمني ساعاتي، خوفي، جوعي، وانكساري، حتى صار شاهدًا لا على الكتابة فحسب، بل على معجزة البقاء، لحظةً حسبتها بعيدة، مستحيلة، مؤجلة إلى زمنٍ لا يأتي.

ما تقرأه هنا هو غيْضٌ من فيض أوجاعٍ لا تحتل الإسهاب، فبعض القصص أعمق من أن تُحكى كاملة، وأعذروا سطورِي إن اختلّطت بالألم، فهي مكتوبة بأنامل لا تعرف الدفء، ولا طعم الراحة، وإنني أضع بين يديك إثباتاً حياً على أن:



أرجو من الله أن يكون هذا العمل خادماً لدينه وأمته، وأن يجد القارئ فيه نفعاً يوازي حجم الكدح الذي بذل في صياغته، لقد اختار الله لي أن أكتبه في ريعان شبابي وفي أصعب محطاتي، ليعلمني مبكراً أن الإنسان إذا عرف وجهته، لن توقفه زلازل الروح ولا فواجع القدر.

لماذا كتب هذا الكتاب؟

جاء هذا الكتاب ثمرة تجربة طويلة في الميدان القرآني، واختلاط مباشر بالقائمين على المشاريع القرآنية التربوية، وما صاحب ذلك من معاشية حقيقية لهموم الجمعيات القرآنية إعلاميًا، ورصد دقيق لتحدياتهم واحتياجاتهم، وما يعترض طريقهم من عوائق تُضعف حضورهم الرقمي وتحدّ من أثر رسالتهم.

لم يكن هذا الكتاب محاولة عابرة لكتابة مؤلف، بل استجابة واعية لحاجة ملحة، ومشروع إسناد ودعم استراتيجي رقمي، يهدف إلى تمكين الجمعيات القرآنية من أداء رسالتها الإعلامية بكفاءة ووعي، وبما ينسجم مع روح العصر وتطوراتها المتسارعة. وقد لقيت فكرة هذا المشروع تقديرًا واسعًا من العاملين في الحقل القرآني، الأمر الذي حمّلني مسؤولية مضاعفة الجهد ليخرج هذا الكتاب بحلّة تليق بأهل القرآن والعزّ.

يسعى الكتاب إلى تقديم حلول عملية، وتذليل الصعوبات الرقمية، وفتح آفاق جديدة أمام الجمعيات القرآنية، من خلال طرح تطبيقاتي واقعي يستثمر في الإنسان، والمعرفة، والقيم التي يحملها الخطاب القرآني، ليكون هذا العمل لبنة أساسية في صرح النهضة الإعلامية القرآنية، ومحطة انتقال من مرحلة إلى أخرى، ونقطة انعطاف حقيقية نحو عهد جديد للجمعيات القرآنية إعلاميًا.

وقد استندت في مقترحات هذا الكتاب إلى مسيرتين مهنتين متكاملتين: الأولى خدمتي في ميدان القرآن والإعلام، والثانية خبرتي كباحث وقارئ في مجال المحتوى الاتصالي القرآني؛ ليأتي هذا العمل جامعًا بين الخبرة الميدانية، والرؤية العلمية، والطموح لكتابة مستقبل إعلامي أكثر حضورًا وتأثيرًا للجمعيات القرآنية.

كُتب هذا الكتاب لأننا:

- ◆ نواجه فجوة خطيرة، حين يُنظر للإعلام كتخصص ثانوي، متهمًا بدنو الأهمية، بينما الحقيقة تقول أن المحافظة على الإعلام معناه المحافظة على سبب كبير وعظيم من أسباب التأثير والنجاح والتفوق في العمل القرآني.
- ◆ تصحيح المفاهيم المغلوطة، وتفنييد المعتقدات الخاطئة التي تظن أن الإعلام ترف أو عبء فائض، وإثبات أنه استثمار سيادي يحصّن الأجيال ضد الأفكار الهدامة.
- ◆ تجاوز خطر النسخة الإعلامية الشكلية التي تُلَمّع الصورة دون أن تصنع الأثر.
- ◆ كثير من الجمعيات تعاني من غياب إعلامي، وعدم تواجد رقمي رغم جهودها الابداعية، وأنشطتها المميزة، كما يأتي الكتاب ليوضح أن جمعيات القرآن الكريم ليست عاجزة عن أداء الرسالة الإعلامية ولكنها بحاجة لتوجيه وارشاد.
- ◆ ملأ فراغًا طال انتظاره في المكتبة العربية، عبر تقديم أول مرجع متخصص ومبتكر من نوعه، يجمع بين قدسية الرسالة وروح الاحتراف الرقمي.

الغايات المُقصودة والأهداف المرصودة من الكتاب:

- ◆ سيادة وقيادة المحتوى الإعلامي القرآني في طول الإنترنت، وعرضه، وتضييق الخناق على المحتوى الهدام الخبيث.
- ◆ زيادة معدلات حفاظ يرتلون الآيات في مشارق الأرض ومغاربها.
- ◆ بناء جيل كامل من المتابعين الجدد المتصلين بكتاب الله تعالى.
- ◆ خلق رأي عام اسلامي داعم لأهل القرآن، وإيجاد مجتمع رقمي ، قريب كل القرب من كتاب الله عزوجل.

كيفية تحقيق أقصى استفادة من الكتاب؟

هذا الكتاب ليس مؤلفاً أكاديمياً نظرياً، بل دليلٌ تشغيلى تطبيقي صُمم ليكون رفيقك في الميدان، وخارطة طريق عملية للعمل الإعلامى القرآنى. قيمته الحقيقية لا تُستخرج من القراءة وحدها، بل من التنفيذ والتطبيق؛ إذ يفقد الكتاب أثره إن لم يتحول إلى خطوات عملية ومشاريع واقعية.

لتحقيق أقصى استفادة، تعامل مع كل فصل على أنه ورشة عمل مصغرة، مستندة إلى تجارب ناجحة ونماذج مجرّبة، وقد ألحقت بكل فصل ملاحق عملية، وتدريبات تطبيقية، وشروحات تفصيلية تساعدك على تحويل الأفكار والمفاهيم إلى ممارسة فعلية داخل مؤسستك أو جمعيتك

كما يتيح لك الموقع الخاص بالكتاب تحميل مواد تدريبية مساندة، تعمّق الفهم، وتسهّل التطبيق، وتفتح آفاقاً أوسع لترجمة محتوى الكتاب إلى مشاريع عملية ملموسة، تحدث أثراً حقيقياً ومستداماً.

وقد وُسمت فصول الكتاب بجمالية لغوية مقصودة، صيغت عباراتها بعناية، وألبست الكلمات ثوباً من البيان، لتجد بين السطور التشبيه الأسر، واللقطة المعبرة، دون أن يُثقل ذلك على القارئ أو يصرفه عن جوهر الفكرة.

ولم ألتزم بالمنهج الأكاديمي التقليدي في توثيق الاقتباسات وإثبات الحواشي، مع حرصى على الإشارة في قسم مستقل إلى أبرز المصادر التي استعنتُ بها أثناء كتابة هذا الكتاب، من كتب، وتقارير صحفية، ومقالات دورية، ودراسات واستطلاعات.

كما آثرتُ أن يخرج الكتاب في حُلّة فنية معاصرة وإخراج بصري بسيط، خدمةً لكتاب الله تعالى؛ إيماناً بأن العناية البصرية هنا جزء من الرسالة، لا أداة دعائية، فهذا فصلٌ رسالىّ، تكون فيه الأولوية للنص، ويأتي التصميم في خدمته لا متقدماً عليه، كما تعمّدتُ إعفاء الكتاب من الحشو والتطويل، وسعيثُ إلى تيسيره غاية التيسير، ورّده إلى صورة الدليل.

الفصل الأول :الإبداع الإعلامي
في خدمة كتاب الله
عز وجل: شجاعة الفكرة
قبل فخامة الإنتاج
(1)

الفصل الثاني :
ما الذي يجب أن نعرفه
عن الوعي الإعلامي؟
(33)

الفصل الثالث :
البودكاست أكثر من مجرد
التحدث أمام الميكروفون
(84)

الفصل الرابع :
بناءات مُهندمة الاستثمار
الأجمل للتغيير وإعادة إعمار
الإنسان
(109)

الفصل الخامس :
التفاعل في البيئات الاتصالية
وإشراك المؤثرين كرافعة
للتأثير التربوي الإعلامي
(126)

الفصل السادس :
كيف تجلب الجمعيات
القرآنية الدعم لنفسها؟
(151)

"إني رأيت أنه لا يكتب إنساناً كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زيدَ هذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أفضل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

العماد الأصفهاني

"وما من كاتبٍ إلا سيفنى ويبقى الدهرُ ما كتبت يداهُ
فلا تكتب بكفك غيرَ شيء يسركَ في القيامة أن تراه"

